جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة ماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات نقدية

تخصص: نقد حديث ومعاصر

رقم: ..... ن/21.....

إعداد الطالب (ة):

دبيش رقية

نُوقشت وأُجيزت يوم: .... /2024/06

الأنســـــاق المــضمـــرة فـــي رحلـة الحـــسيـــن الورثلانـــــي

لجنة المناقشة

- ربيعة بدري	أ.مح.أ	جامعة بسكرة	رئيسا
- عبد الحميد جودي	أ.مح.ب	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
- سناء بوختاش	أ.مس.ب	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله وكفى

والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى، الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمته وعظيم فضله ومنحني القدرة على إتمام هذا العمل أما بعد:

أتقدم في البداية بخالص الشكر والجزيل والعرف بالجميل والاحترام والتقدير لأستاذي الفاضل ومشرفي:

الدكتور–عبد الحميد جودي–حفظه الله وجزاه كل خير

والشكر موصول لأساتذتنا بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بسكرة، الذين سهروا على توجيهنا وبذلوا جهدهم لأجل تعليمنا وتكويننا.

كما أتقدم أيضا بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتخصيصهم وقت من أجل قراءة ومعاينة هذا العمل البحثي.

وأتوجه بأسمى معاني الشكر والامتنان إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

تحية إكبار وإجلال لكل هؤلاء لكم مني جزيل الشكر والعرفان

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ع	عدد
ط	طبعة
ج	جزء
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
تر	ترجمة
تح	تحقيق

مقدمة

شـكل ظهور النقد الثقافي نقطة تحول في أواخر القرن الماضـي في ميدان الدراسـات الثقافية، بحيث انتقل لمجال أوسـع وهو نقد الثقافة، فاهتم بالثقافات المهمشـة والصـورة وغيرها، وارتكز في دعواه على علوم ومعارف مختلفة شكلت أرضـية خصـبة انطلق منها في مقاربته الثقافية.

والفكرة الجوهرية في النقد الثقافي هي" نظرية الأنسـاق المضـمرة" والتي تُعنى بكشـف المضـمر النسـقي أو القبحيات المخفية وتبيان الخصـوصـيات الثقافية المتسـترة وراء التركيبات البلاغية والجمالية في النصوص الثقافية.

والرحلة باعتبارها من الأجناس الأدبية المحملة بالثقافة فهي مادة خام، ومتن مرن له القابلية على التحاور مع المناهج النقدية الحداثية منها وما بعد الحداثية، ويترأسـها النقد الثقافي.

هذا ما شـجعنا على اختيار هذا الموضـوع المعنون ب "**الأنسـاق المضـمرة في رحلة الحسـين الورثلاني**" محاولين بذلك دراسـة النص الرحلي بالوقوف على الدراسـة النسـقية التي لا تجعل من الشكلية الأدبية أولوية مطلقة.

فقد سـعينا لقراءة وتعرية الأنسـاق الثقافية، هذا لأن السـرد الرحلي ليس تصـويرا فوطوغرافيا جامدا، بل وإنه مسـرح تتصـارع في الأنسـاق، منطلقين في هذا من الإشـكالية الآتية:

- **ماهي أبرز وأهم الأنسـاق المضـمرة التي شـكلت بنية الخطاب الرحلي للمدونة التي بين أيدينا "الرحلة الورثلانية"؟**

وتتفرع عن الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية:

- **ما السمات التي تميز النسق المضمر عن باقي الأنساق؟**
- **كيف تجل النسق المضمر في الرحلة؟**

- **كيف تم تصوير الآخر عند الرحال؟**

والهدف من هذه الدراسة يتمثل في:

- ✓ **البحث عن النسق المضمر.**
- ✓ **إثارة قضية النسق المضمر في الخطاب الرحلي.**

أما الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي دوافع ذاتية وموضوعية نذكر:

- ✓ **قلة الدراسات في مجال الأنساق المضمرة المتعلقة بالأدب الرحلي.**
- ✓ **أهمية أدب الرحلة عند العرب.**
- ✓ **ما تحتويه المدونة من مضامين ثقافية ومعارف ورسائل ضمنية.**
- ✓ **الرغبة في خوض تجربة في سماء السرد عموما والأدب الرحلي خصوصا.**
- ✓ **إحياء هذا النوع من الأجناس الأدبية.**

جاءت الخطة المتبعة مقسمة على مدخل لضبط المفاهيم وفصلين تطبيقيين، عرجنا في المدخل على التعريف بالأدب الرحلي أولا ثم الأنساق الثقافية المضمرة ثانيا، ومن المصطلح إلى وظائف النسق وسماته.

أما الفصل الأول جاء تحت عنوان: "النسق المضمر قراءة في لاوعي النص الرحلي"، درسنا فيه أبرز الأنساق المضمرة المتمثلة في النسق الثقافي الاجتماعي أولا فاستعرضنا الهوية الثقافية، و"النسق الديني" كعنصر ثان ومنه أنساق صغرى هي: نسق فقه العبادة، نسق المعاملات الدينية، نسق التبرك بالأولياء الصالحين والأضرحة، لننتقل إلى الحديث عن النسق السياسي كعنصر ثالث يتضمن نسق السلطة والهيمنة، لنخلص في الأخير لاستنتاج أهم النقاط التي ظهرت من هذا الفصل التطبيقي.

الفصل الثاني يحمل عنوان "تجليات صورة الآخر في الرحلة" وتطرقنا فيه للحديث عن ثنائية الأنا والآخر التي لا تظهر جليا في المدونة إلا بعد القراءة المعمقة، وقد انطلقنا في

تحليلنا لهذا العنصـــر من البنية النصـــية، لنخلص أخيرا إلى صـــورة الآخر من خلال شخصية الرحالة.

توج بحثنا هذا بخاتمة لأهم النتائج المتوصـــل إليها من هذا البحث بشـــقيه النظري والتطبيقي.

واعتمدنا في تتبعنا للأنسـاق المضـمرة للمدونة الموسـومة ب "الرحلة الورثلانية" على مقولات التحليل الثقافي، القائمة عل الاهتمام بالبنى النصـــية، مع مراعاة الظروف المنتجة للنص الرحلي، دون أن نغفل دور الســـارد في عمله الإبداعي، مع الاســـتعانة بالتأويل أحيانا.

ومن المصادر والمراجع التي ساعدتنا على هندسة البناء البحثي نذكر أولا المصدر:

- ✓ **المدونـة " الرحلـة الورثلانية الموســـومة بنزهة الأنظار في فضـــل علم التاريخ والأخبار".**
- ✓ **كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله الغذامي.**
- ✓ **نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة: نظرية الأنساق المتعددة لجميل حمداوي.**

وواجهتنا بعض الصعوبات والعقبات أهمها:

– نقص المراجع التي تناولت قضية الأنساق المضمرة نظريا، وندرتها تطبيقيا خاصة في هذا النوع من الأدب.

– أسلوب المدونة الذي يعتمد على الجمل الطويلة وكثرة الإيحاءات والتلميح.

– رداءة الطبع للمدونة الرحلية المشتغل عليها.

وفي الخير نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في تجاوز العراقيل بفضـــل الله أولا وبفضـــل الأستاذ المؤطر عبد الحميد جودي ثانيا بتقديمه التوجيه والنصائح نسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء.

مدخل

الجهاز المفاهيمي

أولا: الأنساق الثقافية المضمرة قراءة في المفاهيم

1) مفهوم الأنساق الثقافية

أ- النسق لغة

ب- النسق اصطلاحا

ج- النسق الثقافي

2) الأنساق المضمرة

أ- المفهوم اللغوي

ب-المفهوم الاصطلاحي

سمات النسق المضمر

ثانيا: أدب الرحلة دراسة في المفاهيم

1) مفهوم الرحلة:

أ- في اللغة

ب- في الاصطلاح

2) مفهوم أدب الرحلة

أولا: الأنساق الثقافية المضمرة قراءة في المفاهيم:

هو مصـــطلح يتركب من عنصـــرين مهمين يرتبط أحدهما بالآخر، ذلك أن للنســـق علاقة وطيدة بالثقافة فتأثر الرحالة في رحلاتهم بما يشـاهدونه من مناظر وظواهر يسـتدعي الاسـتعانة بالأنسـاق الثقافية الخاصـة بالرحال، فما هو النسـق؟ وما مفهوم الأنسـاق الثقافية المضـمرة؟ وما علاقة الرحلة بالأنساق الثقافية؟

أ- النسق لغة:

كَثُرَ وُرود مصـطلح **نسـق** في المعاجم العربية بوفرة، و**الأنسـاق** جمع لمفردة "**نسـق**" وجاء في معجم العين بأنه «النسَـقُ من كُلِ شَـيء، مَا كَانَ عَلى نِظَامٍ واحِد عَام فِي الأَشْـياء ونسَقَهُ تَنْسيقاً، وَنَقول إنْتَسَقَتْ هذهِ الأَشيَاء بعضِهَا الَى بَعض؛ أَيْ تَنَسَقَتْ.»[1]

أما في **الوسـيط** فقد وردت لفظة **نسـق** باختلاف واضـح في بعض من التفاصـيل مفادها: «-نَسَـقَ-الشـيءَ نَسْـقًا؛ نَظَمَهُ، يُقَال: -نَسَـقَ-الدُّرَ و-نَسَّـقَ-كُتُبَهُ والكلامُ؛ عَطفُ بَعضِـهِ عَلى بَعضْ-أَنْسَقَ-فُلاَن؛ تَكَلَمَ سَجَعِا، -نَاسَقَ-بين الأمرين؛ تَابَعَ بينهُمَا وَلاَءَم إِلَى بَعض، -النَسَقُ- ما كان على نظَمٍ واحِدٍ مِنْ كُلِ شَـيءٍ، يُقَال: جَاءَ القَومُ نَسَـقًا، وَزَرَعْتُ الأشـجارَ نَسَـقًا.»[2]وجاء معنى النسق في **الصحاح**: «نسق؛ ثغرٌ، نسقٌ: إذا كانت الأسنان مستويةٌ وخرزٌ؛ نسقٌ، مُنَظَّمٌ، قال أبو زبيد (البسيط): يجيدُ رِئم كريم زانه نسقٌ؛ يكادُ يُلهِبُه الياقوت إلهَاباً، والنَّسَقُ ما جاءَ من الكَلام إذا عطفت بعضه على بعض، والتنسيق: التنظيمُ.»[3]حيث شبه النسق باستواء الأسنان.

---

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، ج 4، ص 218.

2 إبراهيم مصطفي وأحمد الزيات وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط 4، 2004، ص 918.

3 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، مصر، مجلد 1، (د ط)، 2009، ص 1135.

تدل هذه التعريفات على أن كل ما كان على مجرى واحد ونظام واحدة هو نسق، ويقصد به تتابع الأشياء وتتاليها وفق نظام موحد.

نخلص إلى أن جُل التعريفات اللغوية تصب في معنى واحد ولا تخرج عن معنى النظام والتلاؤم والتتابع.

ب-النسق اصطلاحا:

تعني كلمة نسق وفي اليونانية –**sustema**–التركيب والترتيب والمجموع ومن ثم تحيل هذه الكلمة على النظام والكلية والتناسق وربط العلاقات التفاعلية بين البنيات والعناصر والأجزاء، والنسق عبارة عن نظام بنيوي عضوي كلي وجامع.[1]

أما النسق **système** في معاجم الأجانب الحديثة منها والمعاصرة فهي عبارة عن جملة من «البنيات التي تتفاعل فيما بينها وفق معايير ومبادئ وقوانين أو هي تلك العلامات اللسانية والأدبية والثقافية».[2]

النسق في دلالته الاصطلاحية هو: «مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النسق تُشترك في إنتاجه الظروف والقوة الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النسق ليس نظاماً ثابتا وجامدا. إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية. أي أنه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيتهِ المنتظَمة يغير ملامحَهُ عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية.»[3]

1 جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة: نظرية الأنساق المتعددة، ط 1، ص7.

2 المرجع نفسه، ص 7.

3 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط 3، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ص 76.

ولعل النسق من بين المصطلحات التي أتت بها المناهج النصانية والتي بدورها تبحث في بنية النص بمعزل عن محيطه الخارجي، بحيث عرفه محمد مفتاح بقوله: «ما كان مألفاً من جملة من العناصـــر أو أجزاء تترابط فيما بينهما وتتعالق لتكون تنظيماً هادفاً الى غاية، وهذا التحديد يؤدي الى نتائج عديدة.»[1] أي أن النســـق يلتزم بخاصـــية التعالق والترابط بين بنياته، بحيث أن هذا الترابط ما يشكل نسقا معينا يخص ذاك البناء، بغية تحقيق غاية ما، هاته الغاية هي موضـوع النقد الثقافي. وقد يأتي النسـق «مرادفة لكلمة البنية أو النظام **system** حسـب مصطلح دي سوسير.»[2]

والسمة الغالبة للنسق أنه نظام تسير وفقه الأفراد ثقافيا تحت شعار الوحدة والشمولية ليَسهل عليهم التواصل وفهم بعضهم البعض والتفاعل فيما بينهم، تحت غطاء متخفي ومستتر ظاهر.

في حين يرى محمد مفتاح أن النسق: «عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة وتبعا لهذا فإن كل ظاهرة او شـيء ما يعتبر نسقاً دينامياً والنسـق الدينامي له دينامية داخلية ودينامية خارجية تحصل بتفاعله مع محيطه.»[3]

ويعني النســـق «بالمفهوم العلمي، نظاما متكاملا ومترابطا من الأبنية النظرية التي يكونها الفكر حول موضـوع ما، مثل: تقديم نموذج رياضـي يفسـر ظاهرة فيزيائية. ويدل النسـق أيضاً على مجموعة من القواعد والمبادئ والفرضيات والمسلمات والنتائج التي تكون نظرية كلية مجردة، أو نظاما، أو جهازا علميا كليا.»[4]

1 محمد مفتاح، النص من القراءة الى التنظير، شركة نشر المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 29.

2 المرجع السابق، ص 76.

3 مفتاح محمد، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010، ص 135.

4 أحلام بن الشيخ، الأنساق المضمرة في مختارات من شعر عثمان لوصيف، مقاليد، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، العدد 16، جوان 2016، ص 2.

بينما يعتبر **ميشـال فوكو** النسـق: «مجموعة من العلاقات تستمر وتتحول في استقلال عن الأشـــياء التي تربط بينها(...)وهو بمثابة بنية نظرية كبرى تهمين في كل عصـــر على الكيفية التي يحي عليها البشر وعليها يفكرون». [1]

وعليه فإن النســق عنصــر يتحدد وفق نظام الأشــياء والعلاقات فيما بينها، مما يحقق التفاعل، وتجدر الإشـارة بأن: «التعامل مع النص الأدبي من منظور النقد النسـقي يعني وضـع ذلك النص داخل سياقه السياسي من ناحية، وداخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى».[2]

وقد صـاحب النسـق إنفتاح في المفهوم عند السـيميائيين، فعرفه رولان بارت أنه: «مجموعة من الوحدات والوظائف مثل اللساني ونسق الموضة»،[3] فحسب رواد السيميائية فإن النسق يحُيل لأشياء خارجة عن نظام اللغة كنسق الموضة وغيرها.

وينظر جمال بن دحمان إلى النسـق كونه: «عبارة عن عناصـر مترابطة متفاعلة متمايزة اذ يتكون كل نسق من:

- ❖ عناصر جزئية.
- ❖ عناصر متعالقة.
- ❖ كليات موحدة للعناصر الجزئية».[4]

تفيد التعريفات السـالفة الذكر الى أن النسـق يعني الترابط والتتابع، فعند تواصـل وترابط الوحدات والأنظمة فيما بينها، نقول آن ذاك أنها ألفت نســقاً متكون من جملة من العناصـــر المرتبطة ببعضها البعض.

---

1 عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، د ط، 2000، ص 132.

2 يوسف محمد عليمات، النسق الثقافي–قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديث–، عمان، الأردن، 2009، ص 9.

3 احمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 133.

4 جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري –التشعب والانسجام–، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011، ص 210.

ج- النسق الثقافي:

تعد الأنساق الثقافية مفهوما أساسيا في مشروع النقد الثقافي، بحيث تعددت مفاهيمها وتنوعت الرؤى حولها، كونها محاولة عربية هدفها ابطال قدسية العقل الغربي، والنسق الثقافي Système Culturel: «ذا طبيعة سردية انه خفي يستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية.»[1] والأنساق الثقافية: «تاريخية وأزلية ولها الغلبة دائما ويمكن القول أن علامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق.»[2]

أي أنها ثابتة لا تتغير، لأن النسق الذي يتصف بالتغير والحركة يهدم المشروع الذي يقوم على الكشف عن الأنساق داخل النصوص.

«يعد النسق الثقافي من أكثر المفاهيم استعمالاً لدى النقاد الثقافيين، وعلى الرغم من كثرة استخدامه، إلا أنه غير واضح المعالم، ولقد أشار محمد مفتاح إلى هذه الإشكالية حينما حاول تعريف النسق بمعناه العام، فقد ذكر أن له أكثر من عشرين تعريفا وقد خلص إلى أنه مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميزات خاصة بها، كاشتراك العناصر واختلافها، ووجود بنية داخلية ظاهرة وحدود مستقرة لدى الباحثين إضافة إلى قبول المجتمع لهذا النسق، ويمكن القول إن عبد الله الغذامي من أوائل النقاد العرب الذين قدموا توصيفا نظريا للنسق الثقافي اعتمادا على وظيفتها التي تتحدد بتعارض نسقين أو نظامين من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر.»[3]

وعليه فإن النسق الثقافي له الصدارة في الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ومن هذا فإن «الاهتمام بتعريف الثقافة، ومن ثم النسق الثقافي هو واحد من الاهتمامات التي تستحوذ على النقاد الثقافيين كما يلاحظ الناقد الأمريكي فنسنت. ب. ليتش **(Vincent B.Leitch)** نفسه

1 حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والتجربة النقدية والثقافية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص18.

2 المرجع نفسه، ص 18.

3 نزار جبريل السعودي، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعرف المتعددة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2017، ص 2.

بين مفهوم الثقافة **(culture)** ومفهوم المجتمع **Society** فالثقافة من منظوره هي كلية متخيلة مختلفة، وكيان مشـكل وهي بذلك توحي بأن **التنظيمات** الإنسـانية تصـنيفات اعتباطية وقابلة للتحول في الماضـي والحاضـر وفي المقابل فإن مفهوم المجتمع يحيل على ضـرب من التنظيمات التي تتسم بالثبات والحتمية.»[1]

1. الأنساق المضمرة:

أ- المفهوم اللغوي:

هو الإخفاء، يقال: أَضْمَرَ الشَيء؛ أخفاه، ويقال أضْمَرَ في نَفسِهِ شيئاً؛ أي عزم عليه بقلبه، والضمير المُضمر الذي تخفيه في نفسك.

المضمرة في **اللسان العربي** هي: "مؤنث المضمر وهما من الجذر اللغوي ضَمَرَ"[2] ومن معاني مادة ضَمَرَ: الهزال: فرس ضامر، وفي التنزيل يقول تعالى:﴿ **وأَذِّنْ فِي النَاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتَينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق** ﴾(الحج:27)، أي الإبل المهازيل–والإضمار والضمير والمضمر، كلها ألفاظ ذات مدلول واحد.[3]

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة " بأن ضمر الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الدقة في الشيء والآخر يدل على الغيبة والتستر."[4]

ب- المفهوم الاصطلاحي:

1 سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971، ص 295.

2 إسماعيل محمد هاشم محمد، الأنساق المضمرة وتجلياتها في النص المسرحي العراقي المعاصر، مجلة ذي قار، ع1/34، جانفي2021، ص 98.

3 عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط 1، 2012، ص 20.

4 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج 3، بيروت: دار الفكر، 1977، ص 3.

الإضـمار بمفهومه الإجرائي «هو إسـقاط الشـيء لفظا لا معنى قال الكفوي:" الإضـمارُ ما ترك ذكره من اللفظ وهو مراد بالنية.»[1]

هي كل ما اختفـى واستتر من أنساق بـين ثنايا الـنص ولـم تكتشفه اللغـة بشـكل مباشـر، وتحتـاج الـى الاسـتدلال علـيها لكشـف محتوياتها ورسائلها المضـمرة وتحليلهما لإعـادة قـراءة النص قراءة جديدة وفقاً لمضمراته النسقية.[2]

ومن هذا المنطلق يمكن الحديث عن النسق المضمر وتحديد مفهومه وسماته وشروطه.

يرى "ليتش" أنه غالبًا ما تُحافظ الثقافة غير الواعية على مجموعة من الافتراضـات والتقاليد، وأيضًـا متعادية، وهذه أبرز صفة تتميز بها الأنساق المضمرة، والتي تعتبر محور النقد الثقافي[3]، والنسق المضمر يشير إلى أن: «الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو... الجمالية».[4]

مما يعني أن كل ما هو جمالي من أدب أو ثقافة فهو يضمر خلفه انساقًا مهيمنة.

والنسـق الثقافي ببسـاطة هو: «مواضـعة، اجتماعية، دينية، أخلاقية، إسـتيتية... تفرضـها في لحظة معينة من تطورها، الوضـعية الاجتماعية، والتي يقابلها ضـمنيا المؤلف والجمهور»[5] وهذا يدل على أن النسق ليس له «وجود مستقل وثابت».[6]

1 عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ص 21.

2 ينظر، المرجع السابق، ص 99.

3 ينظر، فينست ب–ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ص 104.

4 عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، 2004، ص 30.

5 عبد الفتاح كيليطو: المقامات: السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2001، ص 8.

6 المرجع نفسه، ص 8.

وبالإضافة إلى أن النسق الثقافي يفسر ويعلل، فهو إذا يجمع بين وظيفتين ويأكد نادر كاظم على هذا بقوله: «وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الإنسانية من جهة، وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الأفراد من جهة أخرى».[1]

وعليه فإن للنسق الثقافي وظيفتين يعمل من خلالهما ويتحدد بهما:

* الوظيفة الأولى: تتجسد في التجارب الإنسانية إذْ «يقدم-معنى-للعالم وللحيات فيه»[2]
* الوظيفة الثانية: فتتمثل في القدرة على «التحكم في سلوكيات الأفراد في المجتمع الواحد، بحيث يكون الفرد محكوما بالتصرف وفق ما يمليه عليه النسق الثقافي »[3]

ومنه فإن للنسق المضمر مساحة خاصة في الدراسات الثقافية والممارسات النقدية، بحيث يمثل «عنصرا أساسيا للتحول النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى نقد البعد الثقافي، فالأمر يتعلق بقراءته وكشفه وطرح أسئلة لم تطرح حوله من قبل»[4]

ومن هنا فإن النسق المضمر إذًا هو ركيزة النقد الثقافي، والمقصود به إن صح التعبير هو تلك المخبوءات أو القبيحات على حد تعبير "الغذامي" المضمرة والمستترة خلف لواء الخطابات الأدبية والثقافية.

2. سمات النسق الثقافي المضمر:

طرح "عبد الله الغذامي" جملة من الأسئلة، لتحديد مميزات النسق المضمر عن غيره من الأنساق نجملها في الأسئلة التالية:

- ما النسق الثقافي.....؟

1 نادر كاظم، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2004، ص 95.

2 المرجع نفسه، ص96.

3 المرجع نفسه، ص97.

4 عائشة بومهراز، نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي، مجلة الناص، ع9، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، أفريل 2010، ص 90.

- كيف تتم قراءته.....؟
- كيف نميزه عن باقي الأنساق.....؟

فيؤكد على أن مفهوم النسق من منظور النقد الثقافي هو اكتساب لقيم دلالية خاصة، وإعطاء سمات عدة ليتميز بها عن غيره، نلخص هذه السمات في النقاط الآتية:

1- «يتحدد النسق عبر وظيفته... والوظيفة النسقية إلا في وضع محدد ومقيد» [1] ويتحقق هذا بتحقق وتوفر شروط النسق وحينما «يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب» [2] وبتوفر هذه الشروط تتحقق الوظيفة النسقية.

2- مما يتطلب «أن تُقرأ النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجه النقد الثقافي» [3]، هذه القراءة تنطلق من الجمالي لتكشف عن مضمراته وخباياه.

3- فالدلالة المضمرة ليست من عند المؤلف «ولكنها منكبة ومنغرسة في الخطاب، ومؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء». [4]

4- ويكون النسق «ذو طبيعة سردي، يتحرك في حبكة متقنة، لذا فهو خفي ومضمر». [5]

وتعد القراءة الثقافية هي الطريقة الأمثل لكشف هذه الأنساق الثقافية التي تحمل طابع التخفي والتي تظل مضمرة وراء الخطابات والنصوص الأدبية.

وعليه فالنسق له وظيفة يتحدد بها ويعمل عليها تحدث عندما يتعارض نسق بآخر، وما يميزه عن غيره هو طبيعته السردية التي تعطيه الحرية في التحرك والتخفي، هذا ما يجعله مضمرا يستوجب قراءة ثقافية عميقة خاصة تكشف عنه، هذه الأخيرة منطلقها النص الجمالي.

1عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 77.

2 المرجع نفسه، ص 77.

3 المرجع نفسه، ص 78.

4 المرجع نفسه، ص 79.

5 المرجع نفسه، ص 79.

ثانيا: أدب الرحلة دراسة في المفاهيم

1. مفهوم الرحلة

أ- في اللغة:

تزخر اللغة العربية بألفاظ متعددة المعاني والمدلولات، وتختلف باختلاف السياقات وبعض الشروط التوظيفية (الوظيفية)، ونجد في هذا المقام من الطرح أن مادة "رحل" قد حظيت بشرح واف في معاجم اللغة العربية، فهي حمالة أوجه، وتحمل معنى التنقل والحركة.

فقد ورد في لسان العرب في مادة (رَ، حَ، لَ): «الترحيل والرِحالُ بمعنى الإشخَاصُ والإزعاجُ، يقالُ: رَحَلَ الرَّجُلُ، اذَا سَارَ، وأرْحَلتُهُ أنا، ورجُلُ رِحَالُ: عالِمُ بذَلكَ مجيدٌ له...» .[1]

وأتت مفردة "الرحلة" بمعنى آخر في مجم الوسيط وهو «حل عن المكان، وحلا، ورحيلا، وترحلاً، ورحلة: سار، ومعنى الرحلة: الارتحال، (ج) رحل"، وبهذا التعريف يكون مدلولها هو السير والميسر.»[2]

وجاء في قاموس المحيط، «الرحلةُ بالضَّمِ والكَسرِ أو بالكسرِ: الإرتِحَالُ وبالضَّمِ: الْوَجْهُ الذي تَقْصِدُ والسَّفْرَةُ الواَحِدَةُ. والرَّحِيلُ كَأمِيرٍ اسْمُ ارتِحَالِ القَوْمِ ومَنْزِلٌ بَيْنَ مَكَّةَ والبَصْرَةَ. ورَاحِيلُ: أُمّ يُوسَفَ عضلَيهِ السَلاَمُ. وَرِحْلَة: هَضَبَةٌ. وأَرحَلَ: كَثُرَتْ رَوَاحِلُهُ والبَعِيْرُ: قَوِيَ ظَهْرُهُ بَعْدَ ضَعْفٍ والإبِلُ: سَمنْت بعدَ هُزَالٍ فَأَطَاقَتْ الرِحلَةُ وفُلاَناً أعْطَاهُ رَاحِلَةً. كَمَنَعَ: انْتَقَلَ. وَرَحَلْتُهُ تَرحِيلاً فَهُوَ رَاحِلٌ مِنْ رُحَلٍ كَرُكَعٍ.»[3]

ومنه نصل الى أن لفظة "رحلة" متعددة المفاهيم غير أن هذا التعدد يصب في معنا واحد وهو: «السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد

---

1 ابن منظور، لسان العرب مادة (ر، ح، ل)، دار المعارف، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج 3، ص 1609.

2 ينظر، إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، ج 1، (أ، ض)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ط 4، 2004، ص334.

3 الفيروز أبادي (محي الدّين يعقوب)، قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د، ط)، ج 2، 1985، ص 394.

الوصـــول إليه، أو اقتراب الرحيل، وبهذه المعاني كلها كانت لفظة رحلة تطلق: على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ رحال وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر.»[1]

ب- في الاصطلاح:

اجتهد الباحثون في إعطاء تعريف شـامل للرحلة ومفهوم مضـبوط، بحيث أن كل منهم نظر اليها بحسب مجال دراسته، ففي ميدان الأدب والنقد ركز الدارسون على الجانب الفني والأدبي من خلال ما تحمله من نثر وشـــعر وما تقدمه وتنقله من أخبار وأحداث تدخل حيز الأدب، فتعددت تعاريفهم لها، واختلفت وجهات نظرهم حولها، الى أن القاسـم المشـترك بينهم بقي كبنية أساسية، تتجسد في الترحال والسفر، أي، الحركة وعدم الثبات.

وقد عرفها الناقد الجزائري عمر بن قينة بقوله: «هي لون أدبي ذو طابع قصـــصـــي يحمل فائدة للمؤرخ والباحث الجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضـــرب من الســـيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضـــاع واكتشـــاف المعالم والأقطار ووصـــفها والحكم عليها...، فهي إذاً وصـف لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسـار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذلك الواقع والخيال.»[2] حيث تناول في تعريفه هذا أهم النقاط المميزة لهذا الفن عن غيره من الفنون الأدبية، ومن هذه النقاط أنها مزيج من الوصـــف والســـيرة الذاتية التي تحمل طابعا قصصياً.

أمَّا بطرس البســتاني فيعطيها مفهوما بســيط على أنها: «انتقال واحد-أو جماعة-من مكان إلى مكان آخر، لمقاصـــد مختلفة وأســـباب متعددة.»[3]، فكل رحلة لها غاية وهدف يدفع الرحالة للترحال سواءً كان دافعا ذاتيا يخصه أو عاما يخص أحوال أمته.

---

1 عواطف محمد يوسف تواب، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر التاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، (د، ط)، 1996، ص40.

2 عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ط)، 1995، ص 07.

3 بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 08، دار المعارف بيروت، لبنان، د ط، 1984، ص 564.

أو كما يقال: «أدب الرحلة فن من فنون القول العربي، يصـــف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته، أو حكاها لغيره ثم سجلها.»[1]

في حين عرفها الإمام الغزالي بأنها: «أنواع مخالطة مع زيادة تعب ومشـــقة.» [2] فالرحلة حسبه هي احتكاك بالآخر ومخالطته والتفاعل معه.

وقد دلنا القرآن الكريم على رحلتي قريش التجاريتين في قوله تعالى:﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ اِيلافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِـــتَآءِ وٱلصَـــيف ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا ٱلبَيْتِ ۝ ٱلذِے أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ ۝ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝** ﴾.[3]

من خلال مجمل المدلولات فيما سُردَ من التحديد اللغوي والاصطلاحي، يتبين أن المفهومين يصبان في قالب واحد ويشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وتُحَدد هذه الأخيرة وفقَ سياقات معينة

2. مفهوم أدب الرحلة:

أدب الرحلة على اعتبار أنه من الفنون الأدبية النثرية القديمة المتطورة عبر مراحل زمنية متعاقبة والتي عرفت عند العرب، فهو فن له ميزاته الخاصة التي ينفرد بها عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، فالرحالة الذي من شـأنه تصـوير المشـاهد التي حدثت معه أثناء رحلته بغية إيصال فكرة ما فرحلته تدخل حيز «الأدب لأنه ينفعل ويتأثر ويصف فيصوّر لنا ذلك من خلال عمله الأدبي».[4]

ويُعَرف أدب الرحلة أو أدب الرحلات (**littérature des voyages**) على أنه «مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف

1 أسماء أبو بكر: ابن بطوطة، الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992، ص 11.

2 الإمام الغزالي (أبو حامد بن محمد)، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج-2، 1986، ص 273.

3 سورة قريش، الآية 1-5.

4 عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د، ط)، 1974، ص 50.

ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمنظار الطبيعية التي يهدها، أو يسرد مراحل رحلته أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[1]وبالنظر للرحلة على أنها فن له متطلباته وأنها آثار أدبية على حد تعبير كل من مجدي وهبة وكامل المهندس فقد فصـــلت في بيان أهميتها عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، «ولا نبالغ إذَا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، لسـبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اهتم بها هذا الأدب، ونقصـد تهمة مقصـورة في فن القصـــة.»[2] فســرد الأحداث وما جرى أثناء عملية التنقل وروي الوقائع، يمكن متلقي الرحلة من معرفة سمات وخصائص الأمكنة التي يقرأ عنها.

في حين يرى "**سيد حامد النســـاج**" في أدب الرحلة أنه «ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضـــوعا، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تُكتَب في شـــكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصـة.»[3] ومنه فإن حامد النسـاج قد أعطى للرحلة صـفة النثرية من الجانب الشـكلي أما عن المضمون فإن الموضوع هو الذي يحيل إلى أن نص ما رحلي.

وجاء في تعريفٍ آخر لـــ "**ناصر موافي**" أن أدب الرحلة هو «ذلك النثر الذي يصف رحلة– رحلات–واقعية قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضـوع، من خلال مضـمون وشـكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتفاعل فيه.» [4]

1 مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط 2، 1984، ص 113.

2 شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 8.

3 أنساعد سميرة، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009/1430، ص 34.

4 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية/ مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط 1، 1955، ص 41.

الفصـــــل الأول:

النسق المضمر –قراءة في لاوعي النص الرحلي (الرحلة الورثلانية)

توطئة

1. النسق الثقافي الاجتماعي
2. النسق الديني
3. النسق السياسي

توطئة:

تعتبر الأنســاق الثقافية المادة الخام للنقد الثقافي المولود من رحم الدراســات الثقافية، هذه الأخيرة يرى الدارسون أن لها علاقة بالدراسات التي سبقتها، وقد أرجعوا نشأتها لمصدرين الأول هو البنيوية التي انتشرت في فترة الستينيات من القرن العشرين متجسدة في مؤلفات رولان بارت سـنة 1985، والمصــدر الثاني المتمثل في الماركسـية، وقد كانت البدايات الأولى للدراسـات الثقافية "عام 1964 بوصـفها بدايات رسـمية منذ أن تأسـست مجموعة برمنجهام تحت مسـمى مركز برمنجهام للدراسات الثقافية."[1]

والنسـق المضـمر هو مدار العناية في النقد الثقافي، إذ أن القراءة الثقافية تهدف للكشـف عن هذه الأنساق التي اتخذت من النصوص مضامينا ثقافية "وتسعى الى إعادة قراءة النصوص الأدبية في ضوء سياقاتها التاريخية والثقافية حيث تتضمن النصوص في بنيتها انساقا مضمرة ومحتالة قادرة على المراوغة والتقنع ولا يمكن كشــفها أو كشــف دلالتها في المنجز الأدبي إلا بإنجاز تصــويري كلي حول طبيعة البنى الثقافية، فالقراءة الواعية بالدلالة الثقافية تقوم بكشــف وإماطة اللثام عن الأنساق المستترة."[2]

وبناءً على ذلك، فإن مركزية النقد الثقافي تكمن في الكشــف عن الأنســاق المضــمرة وتحليلها وتفكيك البنية الثقافية لفهم الواقع وإيضــاح ماورائية الخطاب الرحلي، والأنســاق التي تخفي معانٍ معينة، وتعمل على نقلها خلف أيديولوجيات لإيصال معنى آخر.

فأصــبح النص الرحلي ظاهرة ثقافية متعددة وجهات النظر ومفتوحة على باب التأويل والتحليل، يجول في بنية نصية منتجة في بيئة ثقافية واجتماعية ودينية.

1 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية"، ط3، 2005، ص20.

2 نور رحيم حنيوي، الأنساق الثقافية في شعر اديب كمال الدين، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، د/علي هاشم، جامعة المثنى، 2018، ص 15.

ويعد النص الرحلي شكلا من الأشكال القادرة على اختزال وتصوير الواقع بكل بتناقضاته، محاولة تعريته للكشف عن مضمراته النسقية، وأضحى كيانا ثقافيا مشحون بمحولات ثقافية منتجة، فالرحالة في عملية إنتاجه للخطاب الرحلي بأسلوبه الواعي أو اللاواعي يحيل إلى أن المبدع أيضا من صنع الثقافة، ويقول إدوارت سعيد في هذا الصدد:" أنا لا أؤمن أن المؤلفين يحددون بصورة آلية بالعقائدية(الأيديولوجية) أو الطبقة أو التاريخ الاقتصادي، بيد أن المؤلفين كما أؤمن كائنون إلى حد بعيد في تاريخ مجتمعاتهم يشكلون بذلك التاريخ بتجربتهم الاجتماعية بدرجات متفاوتة"[1]

وتهدف هذه القراءة للكشف عن الأنساق المضمرة في رحلة الحسين الورثلاني، وذلك انطلاقا من سياقاتها الثقافية والدينية والسياسية الحاضرة والتي فرضت نفسها.

1-النسق الثقافي الاجتماعي:

من خلال عملية مساءلة النص الرحلي الذي بين أيدينا، نجد أن النسق الثقافي الاجتماعي قد تجلى فيه بشكل كبيرو متمازج، ومتوازياً مع الرحلة نظرا لتعددية الثقافية والاجتماعية التي احتوتها، بحيث يمثل واقعة ثقافية يحمل فيها الرحالة تجاربه وثقافته، وتكشف عن العمق الاجتماعي المتفاوت بين شعوب العالم في الحقبة التي قام فيها الورثلاني برحلته، ليصبح النص مسرحا يتكاثر فيه النسق الثقافي الاجتماعي.

1-1-الهوية الثقافية:

الهوية عملة ثقافية ذات وجهين، أحدهما ظاهر والاخر مضمر ولا يمكن الحديث عن الهوية الا إذا كان لها مضمون ثقافي يحمل بعد اجتماعي ومعرفي، ذلك ان الثقافة تدفع لاكتساب الهوية " والتعالق القائم بين الهوية والثقافة هو من اشد التعالقات قوة وتحكما في

1 إدوارت سعيد، الثقافة والإمبريالية، (ت-ج) كمال أبو ديب، دار الآداب، لبنان، ط 4، 2014، ص 27.

صياغة خصوصية الكائن الإنساني في الزمان والمكان، ولذلك تستعمل كثيرا الصيغة الاسنادية: الهوية الثقافية."[1]

وتعرف الهويـة على أنهـا: «معرفـة وإدراك الـذات القوميـة ومكونـاتهـا من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ودين، وهي سمات وخصائص يتميز بها شعب عن غيره من الشعوب»[2]

ومن التعريفات التي وردت عن الهوية أيضا أنها: «نظام من القيم والتصورات والتمثلات التي يتميز بها مجتمع ما تبعا لخصوصياته التاريخية والحضارية.»[3]

وتتضمن «كل ما هو مشترك بين جميع أفراد مجتمع ما كالقواعد والمثل والقيم التي يشترك فيها الفرد مع بقية أفراد المجتمع.»[4]

أما عن مقومات الهوية فهي كالآتي:

- ❖ اللغة
- ❖ الدين
- ❖ التاريخ
- ❖ الجغرافيا
- ❖ العادات والتقاليد
- ❖ الأعراف. [5]

1 سعيد اراق، مقال، مدارات المتفتح والمنغلق في تشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية، مجلة عالم الفكر (مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، ص112.

2 الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية؟، احمين عبد الكريم،2017، ص 63.

3 مجموعة من المؤلفين، الهوية وتحولات العصر، جدل الهويات، حوار المجاورة أو صراع الاختلاف، ابن النديم للنشر والتوزيع–الجزائر–، بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية، ط 1، 2017، ص190.

4 عبد اللاوي الناصر، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، رسالة ماجستير في الفلسفة، بيروت، لبنان، دار الغرابي، ط 1، 2012، ص 51.

5 كريمة محمد كريبة، اللغة والهوية، مجلة الآداب، ع1، جامعة الملك سعود، الرياض،2010، ص70.

ونلمح الهوية الثقافية لأهل المدينة في رحلة الورثلاني من خلال المشهد المعبر الذي نقله عنهم، في الزواج والتحضيرات لليلة الزواج أو ما سماه بليلة الدخلة، وهو من الواقع الاجتماعي السائد آنذاك فيقول: "أنّ في ليلة الدخلة أتى الرجل ومعه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه وأهله ومعهم الشموع حتى يُوقف به على باب المسجد بعد الغشاء الأخيرة فيدخل ويسلّم على النّبي صلّ الله عليه وسلّم ويدعو فيخرج ثمّ يذهب به كذلك فيزفونه بالغناء والأهاليل إلى بيت المرأة في دار أهلها."[1]

هو مشهد يجسد هوية ثقافية، وعادات وتقاليد لروح مجتمع يتميز بسمات عن غيره، فلفت انتباه الحسين وأثار الاستغراب في نفسه من هذه العادة لأهل المدينة حيث يزف الرّجل ويُؤخذ لبيت العروس، هذا على عكس عاداتنا أين تزّف المرأة لبيت زوجها، فالرحالة كان يتوقع أن تكون العادات متطابقة مع عادات أهل بلاده فاصطدم بواقع مغاير ومختلف لما يحمله في ذهنه من صورة حول تحضيرات الزواج.

ويتكرر المشهد الثقافي المتعلق بالزواج، على اعتبار أنه وسيلة شرعية لتأسيس أسرة وفق قوانين متبعة، ومنه فهو بمثابة رباط وثيق يتباين ويختلف من مجتمع لآخر أو في المجتمع الواحد نفسه، فلكل عاداته التي يتمسك بها ويرفض الانسلاخ منها، مما يثبت انفرادية كل شعب عن غيره، فتحدث عن تقاليد أهل المدينة فهي المنطقة الوحيدة التي تناولها بالوصف فقال: "يقوم المنشد بإنشاد قصيدة أو قصيدتين في مدح الرسول صل الله عليه وسلم..."[2]

ويقول أيضاً: " فمن عاداتهم في الأملاكات أن يكون عقد النكاح بالمسجد الحرام فيأتي أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب والخطيب فيجلسون صفين من المنبر..."[3]

1 الحسين بن محمد الورثيلاني، **الرحلة الورثلانية الموسومة "بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مطبعة بييروفونتانا الشرقية، الجزائر، ط1، 1907، ص510.

2 المصدر نفسه، ص 509.

3 المصدر السابق، ص 509-510.

تتجلى في هذه المقاطع الهوية الثقافية لأهل المدينة، من خلال الربط بين الزواج الذي نص عليه ديننا الحنيف وعادات وتقاليد شعب التي ترسبت في وعيه، والخفي وراء ذكر الشيخ الحسين لهذه الأحداث، هو توثيق الأخبار وابراز اختلاف الثقافات من بلد لآخر.

ومن ناحية أخرى، نلحظ استخدامه لبعض الكلمات الدارجة، التي تعبر وتثبت الهوية الثقافية للرحالة، نجد كلمة "عكاز" في قوله: " لم تكن في أحد من أهل عصره قال وقد رقى لي عكازا..."؛ أي العصا التي يستند عليها المسن أو الذي أصيب من رجله، فهي لفظة مستوحاة من التراث الذي نشأ عليه الفرد الجزائري، ولأن «الفكر أداة للإنتاج النظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها...» [1]فهذا يدل على أن الحسين يحمل فكرا بعينه، وثقافة مجتمع، وإفراز لواقع منتج، وله دور في إعادة بنائه وتشكيله وتمثيله.

ونجد مفردة" "سيدي" طغت على النص الرحلي من أوله لآخره، وهي انعكاس للهوية الثقافية الطاغية، بحيث هي من الألفاظ الدارجة السائدة في المغرب العربي عامة والمجتمع والتراث الجزائري خاصة، والمعبرة عن الاحترام والتقدير فتقال للمسن احتراما له، فيذكر:

- سيدي يحى العيدلي[2]
- سيدي محمد بن القاضي[3]
- سيدي ابي العباس[4]
- سيدي أحمد بن يحى[5]
- سيدي الجودي[6]

1 الأنصاري، عبد الحميد مقال–العولمة والهويات الثقافية، مجلة الثقافة العالمية، ص 220.
2 المصدر السابق، الرحلة، ص14.
3 الرحلة، ص16.
4 الرحلة، ص23.
5 الرحلة، ص34.
6 الرحلة، ص39.

والملاحظ أن لفظة "سيدي" تندرج ضمن لهجة المغاربة والجزائريين بخصوص، وباستحضار الرحالة لها يكون قد أثبت هويته الثقافية من خلال اللهجة التي أضفاها في عمله السردي، ومعبرا عن الهوية الجمعية لمجتمعه الجزائري.

تبقى الهوية الثقافية حاضرة مهما اكتست الرحلة الورثلانية بحلة الرمزية ومعالجة القضايا الاجتماعية التي صرح بها الزمن.

ونلحظ عناية الشيخ الحسين بعلم التاريخ بشكل كبير، ويتضح هذا من خلال العنوان الذي اتسمت به الرحلة" **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، فالهدف من وراء تدوين هذه الرحلة هو إبراز أهمية علم التاريخ ومكانته وفضله من بين العلوم الأخرى خصوصا في ظل التراجع المشهود خلال العهد العثماني[1] ويذكر الورثلاني في هذا الشأن عن الرحلة بقوله: "أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي فهي تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار..."[2].

فجاء الكتاب كوثيقة تاريخية ثقافية تحمل علما قائما بحد ذاته، انصب عليه تركيز الرحالة لأهميته وقيمته.

2-النسق الديني:

يمثل النسق الديني " أحد أهم العناصر المكونة للوعي الاجتماعي منذ وجود الإنسان على الأرض وحتى اليوم، فهو يلعب الدور الأكبر في التماسك الاجتماعي وتزداد به قدرة المجتمع

1 ينظر، عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1518-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2015-2016، ص 210
2 الرحلة، ص3.

على تجاوز العديد من التحديات، كما أنه يشكل أهم المحددات المنظمة لأنماط السلوك الفردي والجماعي في المجتمع"[1]

ومنه فقد أكدت "أنتروبولوجيا الأديان أن المعتقد الديني هو من بين أكثر مكونات الثقافة تمظهرًا في حياة الكائن الإنساني"[2]

تناول الشيخ الحسين في هذه الرحلة قدرة زمنية معينة، عايش تلك المرحلة سياسيا واجتماعيا ودينيا، وكانت الرحلة فرصة للتعبير عن بعض الأنساق المضمرة تستتر خلف البنية اللغوية للنص.

وإذ اعتبرنا الفكرة الدينية مركزية في الأنساق الثقافية شكل عام، فإنها تكتسب مزيدًا من الأهمية والوجود في النسق الثقافي العربي بشكل عام وفي الوعي العربي بشكل خاص.

ومن خلال قراءتنا للمدونة نجد أن الأنساق الدينية في رحلة الورثلاني متعددة، فيتمحور هذا العنصر على ثلاث أنساق هي: –المعاملات الدينية –فقه العبادة –التبرك بالأولياء الصالحين.

1.2 المعاملات الدينية:

تواجد هذا النسق في رحلة الحسين الورثلاني بشكل صريح تارة وبشكل ضمني تارات عديدة، فأدرج فيها البيع والشراء اللذان يمثلان ضمنيا معاملات دينية، وجاء على لسانه أن ذكر إحدى المعاملات عند الأعراب، فهم يعرفون ي بطريقتهم الخاصة في البيع وتميزون بها، فإذا اشترى شخص منهم يبيعون له بسعر قليل أمَّا إذا اشترى أحد من أهل المدينة فيضاعفون له الثمن أضعافا مضاعفة فسمي بالبرغازين، فركز الورثلاني في هذه المعاملة على أن هذه الصفة

1 الحركات الإسلامية وربطها بالتغير الثقافي في المجتمع الجزائري على أساس اختلاف توجهات السياسة، رسالة دكتوراه، إشراف صالح فيلالي، د ص.

2 الطيب بوعزة المغربي، مقالات فكر إسلامي في الحاجة إلى الإصلاح الديني، 2007/06/20، الساعة 14:50.

قد تكون مضـلة لعدم علمه بموضـع السّـلع: " فلا نهي إذا تلفي حينئذ لكون السـلع بلغب بها سوقها ومحل بيعها وابتياعها"[1] فإن علم فلا تكون المعاملة مكروهة.

كما نلمح تحدثه عن معاملة أخرى تتمثل في الكراء فيقول:" كراء الرواحل أتى إليهم رجلا فيعتقدون لهم الكراء مع صـاحبه ويتكلفون بها عسـى أن يصـدر الجمال من عدد في الطريق ويسـمى أحد هؤلاء المخرج "[2] فتعمق في قضـية كراء الرواحل، بحيث لا يحصـل كراء إلا إذا حضر المخرج وهو طالب، والهدف من هذه المعاملة التي اعتمدوها هو الحفاظ على الأموال.

والسـبب من وراء ذكر هذه التعاملات هو إبراز أهمية المعاملات الدينية وغربلة الصـحيحة من المكروهة وإزالة اللبس عنها، وجاء في قوله تعالى:﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾.[3]

2.2 فقه العبادة:

يعد الرحالة الحسين بن محمد الورثلاني فقيها وعالما بعلوم الدين والقرآن الكريم، إذ اقتصر التفقه لديه في باب العبادة بفصـله في الأحكام الشـرعية وتبيان جوازها وبطلانها باسـتشـهاده بأقوال علماء وشـيوخ درسـوه وتتلمذ على أيديهم أو عن طريق حضـوره محاضـرتهم مع توظيف أمثلة واقعية.

ويتجسد هذا العنصر من خلال العبادات التي ضمنها في نصه الرحلي، بدءا بآداب الحج وخص حديثه بشـروط الحج منها إخلاص النية لله تعالى وعدم الكذب والرياء، هذا ما رآه الحاج عند قيامه بمناسك الحج، واستشهد بقوله تعالى:﴿ وَأَتِمُوا الْحَجَ وَالْعُمْرَةَ لِلَه ﴾.[4]

بالإضـافة إلى حديثه عن الصـلاة وتحديدا صـلاة الاسـتخارة وكيفية أدائها قائلا:" يصـلي ركعتين من غير الفريضـة قال يقرأ في الأولى، قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية قل هو الله

1 الرحلة، ص 511.
2 الرحلة، ص 512.
3 سورة البقرة، الآية 275.
4 الرحلة، ص 20.

أحد، وإن قرأ بغيره يجوزون ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب"[1]، غير أن الاستخارة تكون في كل الأمور سوآءا كانت أمور حكمها معلوم أو غير معلوم حلال أو حرام مكروه أو مستحب.

وأورد الخلاف الواقع بينه وبين والده في الرحلة بحيث قال: " هذا وقد وقع بيننا وبين الوالد رحمه الله في بعض المسائل من مسائل الفقه فاستظهرت أنا والعلامة الفاضل والمحقق الكامل عمنا سيدي محمد الصغير أمر وهو قول خليل وتفكر بدنيوي".[2]

وأقر بأن جميع من شرحوا هذا القول زعموا بأنها مغالطة وصفة مكروهة، فقام بتصنيفها في باب المكروهات.

ونخلص إلى أن كل ما اتخذه الرحالة في رحلته من نماذج كآداب الحج والصلاة والمسائل الفقهية تنطوي ضمن نسق ديني يضمر علوما دينية وفقهية، وقد جاء في حديث الرسول ﷺ أنه: **«مَنْ يُرِدْ اللـه بِـهِ خَيرًا يفقهْـهُ فِي الـدِين»**[3]، ويقول تعالى:﴿ **لِيَتَفَّهُوْا فِيْ ٱلـدِّيْنِ وَلِيُنْـذِرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَاْ رَجَعُوْا إِلَيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنْ** ﴾.[4]

3.2 التبرك بالأولياء الصالحين والأضرحة:

الولي الصالح في الثقافة الشعبية هو الشخص المرابط أو كما يعرف عموما بالمرابطين والسادة المتبرك بهم، أما عن الأضرحة فهي جمع ضريح، ويقصد به قبر الولي، فالاعتقاد السائد أن الولي المقدس لدى الرعية الثقافية يجعل قبره بعد وفاته مميزا عن باقي القبور فيقومون بتخليده ليصبح رمز المريدين ومزارا.

1 الرحلة، ص 34.
2 الرحلة، ص 295.
3 رواه البخاري ومسلم،71، 1037.
4 سورة التوبة، الآية 122.

والولي هو إنسان صالح في دنياه وحتى بعد موته، فيبنى له ضريح ويقدس، فتعدد الأولياء الصالحين يرجع لتعدد النواحي في المغرب العربي عامة والإنسان الشرقي خاصة، والورثلاني أفرد قسم كبير من رحلته للتحدث عن هؤلاء، بل تكاد تصبح سيرة ذاتية عن الأولياء الصالحين ولأخبارهم وعلمهم، فأسهب من ذكر أسماءهم وصفاتهم.

ونرصد حديثه عن الأولياء الذين مر بهم، ففي الجزائر اشارة إلى "سيدي فرج"،"أحمد بن سعيد"،"عبد السلام الأسمر"...

فبوصفه مكان الشيخ أحمد في قوله: "نزلنا قرية الشيخ الفاضل، ذي التصنيف الجيد الولي الكبير والعالم الشهير صاحب وقته، المحب لنبي الله صل الله عليه وسلم سيدي أحمد بن زيان"[1]، يتضح من هذا التبرك الذي كان شائع في ثقافتهم.

ويمكن اعتبار الرحالة الحاج نسقا في حد ذاته، ذلك لأنه محبب عند الناس وهذا يظهر من قوله: "وبتنا عند الفضلاء الأشراف المحسنين لنا جميعهم الصغير والكبير، الذكر والأنثى وتكرموا، وفرحوا بنا فرحا شديدا"[2]، فيبرز ضمير المتكلم من قوله هذا ليدل على أنه من الأشراف الذين يقتدى بهم.

وبما أن غاية الورثلاني التركيز على علم الأخبار، فلابد من أن يركز بالمقابل على السلف والأولياء، بغية الاقتداء ويقول في هذا: "إنّما نذكر من ذكر من الإخوان وبيان أوصافهم ليتحقق السامع بأحوالهم ويتصف بأوصافهم".[3]

ومن جهة أخرى فالإشارة للأضرحة وزيارتها تخفي نية طلب البركة لاستجابة الدعاء، فما البركة والاستجابة إلا من عند الله عز وجل، فيستدل بعدد من أسماء الأضرحة المشهورة نحو: " ضريح سيدي إبراهيم اللقاني، في مقبرة هناك محوط عليه بالأحجار على يسار الذاهب إلى

1 الرحلة، ص 29.
2 الرحلة، ص22.
3 الرحلة، ص 178.

منزل الركب"[1] برع في تصـوير مكان قبره بتدقيق الوصـف لتبيان مدى قدسـيته، حتى في البناء قبره متواجد في مقبرة خالية كأنها تخصـــه وحده، ومحوط عليه بالأحجار كما وصـــفه الرحال، فنستنتج من هذا منزلته الكبيرة.

والتبرك بالأولياء الصـــالحين والأضـــرحة يعد من الممارســـات الدينية المنحرفة عن عقيدتنا، ولعل حديث الحســـين الورثلاني عن هذه الظاهرة بكثرة يدل على مدى انتشـــار هذا النوع من البدع النابعة من جهل الناس الذي يجعلهم يتمســـحون بالأضـــرحة ويدعون الأولياء ويطلبون استجابتهم.

3-النسق السياسي:

1.3 السلطة والهيمنة:

تعد السلطة ظاهرة اجتماعية، تشكل حيزا مهما من اشتغال نخبة المثقفين والادباء، إذ تتشكل في النصوص الإبداعية، بنقل الظواهر السياسية في قالب جمالي فني.

ويعرف ميشال فوكو السلطة على أنها: «مجموع المؤسسات والأجهزة التي تمكن من إخضاع المواطنين داخل دولة معينة، كما أنني لا أقصـــد نوعا من الإخضـــاع الذي قد يتخذ في مقابل العنف صورة قانون.[2]

استطاع السارد الحسين الورثلاني من خلال نصه الرحلي أن يتتبع مرحلة معينة من الزمن-العهد العثماني-وسلط الضوء على الظلم والهيمنة في بعض المناطق، وكشف بطش السلطة وتمردها على الفرد الاجتماعي.

1 الرحلة، ص 399.

2 ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1994، ص 66.

وقد استنكر الورثلاني الحكم العثماني من خلال تبينه طريقة الحكم في بعض المناطق، التي "شهدت في عهده قلة العلم... وانتشار الظلم".[1]

وأشار الرحال بالذكر سلطان تونس الذي نهب أموال المسلمين واستغلهم وان " الظلم العناد إذا ظهر في تونس ابتلاهم الله بعذاب يعم جميعهم حسب ما وقع ذلك بالباشا أعني علي باي حتى صار النهب والسلب والقتل والفتك في ديار تونس ... والسبب في ذلك ان السلطان واهل حضرته اشتغلوا باللهو واللعب وصرفوا أموال المسلمين في شهوتهم المحرمة"[2]

وفي حديثه عن مدينة بسكرة كشف الظلم الذي عانت منه من قبل الاتراك وجور الاعراب فجعلوا أيامها أحلك من الظلمة، وهدموا بناياتها واستغلوا خيراتها، فيقول: "اجتمع عليها أمران ظلم الأتراك وجور الاعراب، فكانت بينهما كالكرة في أيدي الصبيان.... استولوا عليها الأتراك استيلاء عظيما"[3]

هذا الظلم لم يقتصر على بسكرة وحسب، بل شمل مدينة توزر الواقعة بتونس أيضا على حد تعبير الرحال" قد كثر جور الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد..."[4]

ويظهر نسق السلطة والهيمنة أيضا في الحديث عن مدينة درنة الواقعة بليبيا، التي كانت تخضع للطغيان والجبروت[5].

نخلص في الأخير إلا أن:

- السرد الرحلي وعاء، يحمل أنساق مضمرة مختلفة، كون الرحالة يستند على خلفيات دينية وثقافية واجتماعية وسياسية تؤطر نظرته وتصوغ سرده.

1 شوقي ضيف، الرحلات، ص389.
2 الرحلة، ص 789.
3 الرحلة، ص 142.
4 الرحلة، ص 157.
5 ينظر، الرحلة، ص 703.

- الخطاب الرحلي حافل بالمضمرات والأنساق الثقافية التي تتدخل في تشكيله وبنائه.
- تعد الرحلة الورثلانية نموذج يزخر بالأنســاق الثقافية المضــمرة، وهي بمثابة شــاهد عن الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في بلدان مختلفة.

الفصل الثاني:

تجليات صورة الآخر في الرحلة

توطئة

1-صورة المرأة

2-صورة الآخر/ رفيق السفر

3-صورة الآخر/ العدو

توطئة

طرحت ثنائية الأنا والآخر كإشكاليه من إشكاليات الوجود الإنساني على وجه المعمور، وكقضية من القضايا الشائكة التي تتناول موضوع الهوية والخصوصية الحضارية للذات في مقابلتها بالآخر، هذا الآخر هو نفس الجنس ولكن مختلف عنها.»[1]

ويكمن هذا الاختلاف في اللغة أو العقيدة أو الثقافة أو الفكر، لتنتقل هذه الثنائية لحقل الأدب، فكان لها حضور واضح في المتن الرحلي العربي القديم، عندما تتحول العلاقة الجدلية بينهما الى سمة بارزة في بناء وتشكيل مِعمار النص الذي تم بنائه وتشكيله عبر هذه العلاقة «والرحلة عموما هي من أول الأشكال التي استعملت فيها الكتابة بضمير الأنا دون تحرج، ومن الأشكال التي تطرح فيها باستمرار صورة الآخر».[2]

إلا أن العلاقة بين الآخر والانا في الرحلات «علاقة متعددة الأوجه لا يمكن حصرها أو اختزالها في وجه واحد أو تصنيفها ضمن خانة واحدة، إذ يمكن أن تتخذ هذه العلاقة شكل الصداقة أو العداوة أو التعايش أو الغربة أو العزلة...ولكن الكل يُجمع على أن الذات لا يمكن لها أن تعي وجودها إلا بوعيها بوجود الآخر وتقبل كينونتها.»[3] بأي حال من الأحوال لا يمكن لطرف أن يحقق حضوره في غياب الطرف الآخر، ويعتبر الوعي بالذات مرآة للوعي بالآخر، فالرحلة تمثل خروج الفرد عبر مرآة الآخر المختلف «فالآخر ليس بالضرورة هو البعيد جغرافيًا أو صاحب العداد التاريخي أو التنافس الدائم إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض الآخر».[4]

ويستوجب الحديث عن الآخر الحديث عن الصورة الزمكانية، إذ يعتبر الإطار الزماني والمكاني «مكون آخر يسهم في توضيح صورة الآخر من خلال ما يقدمه الأديب من أماكن

1 سمير الخليل وطانية حطاب، دراسات ثقافية (الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي)، ص 37.
2 شعيب الخليل، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، الكتابة، خطاب المتخيل)، ص 6.
3 المرجع السابق، سمير خليل، دراسات ثقافية (الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي)، ص 37.
4 لبيب الطاهر، صورة الآخر (العربي ناظرا ومنظورا إليه)، ص 111.

متعددة وأزمنة متعاقبة توحي كل منها بإضفاء الألوان على الصورة المشكلة للآخر التي يتحرك على مستواها، فكل من الزمان والمكان يعدان فضاء تتحرك فيه العلاقات بين الأنا والآخر والتي لابد من مراقبتها للوقوع على حقيقة الصورة ومميزاتها».[1]

فاكتسب الحسين الورثلاني من خلال تجاربه ورحلاته مرجعية بنى عليها تصويره للآخر بدقة، فكانت رحلته كفيلة بجمع وتجسيد صورته، هذه الأخير لم تتوقف عند الجانب الاجتماعية والثقافي فقط، بل تتعدى للجانب النفسي والجسدي وحتى الأخلاقي.

وانطلاقا من هذه المسلمات، ارتأينا أن نرصد تمثلات الأنا والآخر في رحلة الورثلاني من خلال العلاقات المبنية والتفاعل بين الطرفين، بالاعتماد على الجانب الاجتماعي والمعرفي وكذا الأخلاقي، مع الإشارة إلى أن النقد الثقافي في دراسته للأنساق المضرة مفتوح على مختلف العلوم كالعلوم الإنسانية ومناهج تحليل الخطاب والتحليل النفسي والسيمياء وغيرهم.

تتمحور الرحلة نظرة الرحالة إلى الآخر العربي، ويتعلق الوقع بالرحلة التي احتوت على معلومات ومعارف وفيرة، فرحلة الورثلاني انطلاقا من الجزائر إلى الحج مرورا بمصر وتونس وليبيا تجعل منها موسوعة علمية ووثيقة تشتمل على جملة من المفاهيم والآراء والأحكام والثقافات المتعلقة بشعوب أخرى.

وقد عدت مرجعا للتعرف على حضارة الآخر المختلفة في تلك الحقبة من الزمن.

1. صورة المرأة

1 عالية زروقي، صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، أطروحة دكتوراه، تخصص: أدب مقارن، قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف،2017/02/28، ص 30.

يظهر هذا النســـق جليا في الرحلة الورثلانية بوجهين، أحدهما معلن والآخر مســـتتر، حيث تتوزع القضـايا فيها بشـكل متنوع ومتعدد أمام المتلقي كأنسـاق مضـمرة تعمد لوضـع مفاهيم كونية بوعي أو بدون وعي من الكاتب أو الســـارد بطريقة غير مباشـــرة مخفية، يحملها في نص رحلته للمتلقي بغية تجسـيد عوالم مسـتندة على رؤى أيديولوجية خاصـة بالذات الباعثة للخطاب، ويندرج هذا الجهد ضـــمن مســـاع لتوجيه الوعي الجماعي نحو أعماق الذاكرة الثقافية ويظهر هذا بشـكل بارز في الرحلة، الذي ينسـاب من تدفق الطبيعة إلى فيض متشـابك برموز غامضـة، متقنا رسـم خطوط تربط بين الظاهر والخفي في الفهم الصـوفي المنقطع، ويجعل الموجودات أداة لنقل دلالات غنية ومفعمة بالشـحنات النفسـية التي تجلت في هذه الرحلة.

وتوظيف المرأة كلفظ في هذا السياق يعكس حضورا غنيا بالدلالات العميقة، حيث يشير إلى الوجود المتجذر في الأصـالة البشـرية، متجاوزا السـطحي والمعلن ليكشـف عن معان أعمق مستترة.

ونجد في الرحلة نداءات تحمل رمزية للمرأة وكينونتها بين الحضـور والغياب المسـترسل إذ أن المجتمع لا يقوم إلا بقيام ثنائية المرأة والرجل، ومن هنا يتشكل سؤال جوهري مفاده، هل كان حديث الشـيخ الورثلاني عن المرأة نابعا من ظروف اجتماعية أم ظروف نفسـية تخصه، أم من الأيديولوجية المهيمنة في تلك المرحلة.....؟

وخوضنا في هذه المسألة سيأخذ بنا لسبيل المفاهيم الثقافية، ومنها مفهوم الجندر والذي يشـــير إلى «المســـلمات والممارســـات الثقافية التي تحكم البناء الاجتماعي للرجل والمرأة وعلاقتهما الاجتماعية»[1]، ذلك بالنظر للمرأة على أنها كيان ثقافي لا بناء بيولوجي.

ومن خلال ما سُـــرد عن المرأة في هذه الرحلة، تتكون فرضـــية انعكاس الجانب الأيديولوجي للمجتمع على هذا العمل الإبداعي دون وعي من الكاتب أو السارد، وقد يكون

1 Barker, c. (2004) The Sage Dictiomary of cultural studies.

إدراج عنصـــر المرأة متعمدا ناتجا عن ظروف نفسـية تخص الســارد أو الرحال، ولا تمثل المرأة من خلال وصفها في هذه الرحلة مجرد فرد عادي في المجتمع بل إنها عنصرا فعالا فيه يساهم في بنائه.

هذا ما نســتشــفه من رحلة الورثلاني فقد جاء على لســانه ذاكرا نســاء المدينة المنورة اللاتي كان لهن دور في النشــاط الاقتصــادي فقال فيهن: " من أنه لا تبقى امرأة شــريفة كانت أو وضيعة إلا وخرجت تباشر البيع والشراء بنفسها...".[1]

فنظرة الورثلاني كانت نابعة من القيم والثقافة التي واكبها ومن رؤيته لها، وهذا كان ظاهرا من خلال تصــويره للمرأة كشــريك حيوي في الأســرة والمجتمع وربما في مجالات أخرى مختلفة، ومع ذلك تظهر وجهة نظره التي تعكس التفاوت في القدرات والحقوق بين الرجال والنســاء، والجدير بالذكر أن عنصــر المرأة المحدود يركب صــورة جدلية تُعمق حضــور الرجل ككيان كمركز في نفس الرحالة وكذا في التراث العربي، مما يجعل تشــكل جدلية الحضور والغياب وثنائية الرجل والمرأة قائمة بعينها.

هذه الجدلية تجاهر بصـراع داخلي في نفس الرحالة، فنجده يذم النسـوة خروجهن للتنزه والتفرج في البســاتين، وكذلك تكليفهم لأزواجهن مالا طاقة لهم به إذا عَزِمن على التســوق فلا يرضون بدراهم قليلة كما جاء على لسان الرحالة "طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به إلى السـوق على العادة فدفع لها عشـرة دنانير ذهبا فاسـتقلتها وذهبت من شـدة الغضـب فرمت بها في المرحاض وقالت أَمثلي يخرجوا إلى السـوق بهذا المقدار، فلم يملك من أمره إلا أن ذهب وتسـلف خمسـين دينارا فدفعها لها"[2]، هذا الذم لم يخص به نسـوة المدينة فقط بل أيضــا نســاء الركب الجزائري وزمورة، ونلحظ من الحوار الذي دار بين الرجل وزوجه

1 الرحلة، ص541.

2 الرحلة، ص 542.

يُضمر الواقع المعاش فقولها "أمثلي يخرجوا إلى السوق بهذا المقدار" يوضح مدى سطوة المفارقة الاجتماعية الي يعيشونها.

ويتضح أيضا مما نقله لنا الرحالة عن المرأة الفكر التحرر الذي كان منتشرا، فكانت المرأة تمارس أمورا تخالف الدين وتعاليمه فمن عادت النساء خروجهن متبرجات ومتعطرات بالطيب "فتجد النساء متطيبات متبرجات كأنهن في ليلة الزفاف يمشين في الشوارع والأزق مكشوفات العورات..."[1]، وإذا نظرنا من الجانب الديني فإن هذا يخالف عقيدتنا وديننا فيقول الله تعالى في كتابه:﴿ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبصَرِهِنَ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ص وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ص وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ص وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.[2]

وهذا الأمر أثار الارتباك وعدم القبول لدى الرحالة مما جعله يذم هذه العادات التي تخدش الحياء، فالمرأة المسلمة العربية تتسم بالعفة والطهارة والحفاظ على مبادئها وأن تلزم ارتداء ثوب الحياء.

ويمكننا تتبع الدلالات من منظورها السطحي العميق في بعض المواضع في الرحلة كي ندرك مستوى تجلي عنصر المرأة في الخطاب الرحلي، انطلاقا من كون الحدث يعد علامة الرحلة وما ينتج عنها.

كشف الشيخ الحسين الورثلاني فرق في التعليم بين الذكر والأنثى في العهد العثماني، فكان تعليم البنات ضيق النطاق على عكس الذكر الذي كان يحظى بفرصة التعلم، ضل هذا الوضع إلى أن انقضى عهد العثمانيين وعم الجهل، ذلك أن المحتل الفرنسي كان يتبع سياسة التجهيل في الجزائر فمن غير الممكن أن نتوقع منهم أن يخصوا الإناث بالتعليم دون البنين أو حتى المساواة بينهم.

---

1 الرحلة، ص807-808.

2 سورة النور، الآية 30.

ونلمس من خلال حديثه المفارقة بين الذكر والأنثى مرة بالتركيز على الأنثى ومرة بتهميشها وهذا يرجع للصراع القائم في ثنائية المرأة والرجل واختلافها من مجتمع لآخر.

ويتحدد الآخر في مخيلة السارد من خلال المحكي، ونرصد ذلك حينما تواجدت الشخصيات في حيز مكاني متعدد، فكل شخصية تحمل مكانة اجتماعية، أو من خلال المعاينة المباشرة، فتنفى الصورة أو تثبت بالاحتكام إلى الموروث الأدبي والفكري والديني، وتوضع الصورة في قالبين مباشر أو غير مباشر

2. صورة الآخر/ رفيق السفر:

حدثنا الرحالة الحسين الورثلاني عن رفيق السفر الذي تنقل معه لبيت الله، وتجسد في الركب، إضافة إلى الشخوص الذين التقى بهم في الرحلة ذهابا وإيابا، فتأثر بحسن المعاملة، واحتفى بمقدمه لها، كالفقهاء والتجار وعلماء الدين والفلاحين والحرفيين، والبقية ممن كانوا معه، فيقول: "ولما ودعت أهل بجاية رجعنا إلى دارنا عازما على السفر"[1]، فشكل الصديق المعين في السفر، فقد ألبسه صورة العنصر المساعد.

وقال عن الأصحاب الذين فارقهم بعد اكمال مناسك الحج: "كذلك فلما حان الانفصال وتقارب الرجوع والانتقال تكدر القلب وتغير فحزن فأصابه قلق والله كادت الروح ان تزهق وهي تطير وإنما مسكهما قفص البدن..."[2]هذا يدل على تعلقه بالرفقة التي آنسة وحدته في طريقه لأداء فريضة الحج، وقد أعطى صورة حية عن الصداقة بين الرفقة في السفر.

3. صورة الآخر/ العدو:

1 الرحلة، ص 43.

2 الرحلة، ص 743.

صورهم في شكل قطاع الطرق المسلحين الذي سطو على المارة وقوافل الحجيج، متسببين بعرقلة مسار الرحلة، فسلبوا ممتلكاتهم ويسرقون كل ما لديهم من متاع، وأحداثها المتواترة حسب التسلسل المكاني والزماني، يوحي بوجود صورة الآخر العربي.

وقد أشار لهذا الصنف من الشخصيات بقوله: "وقع الصياح في آخر الركب أن فلانا وأصحابه قد أخذه اللصوص..."[1]، مشهد يصف الشخصية المعتدية على الحجاج واللصوص الذين يعتدون على قوافل الحجاج.

وفي المقابل نجد تصويره للآخر الكافر فقد ظهر في الرحلة كسراب، وهذا راجع لطبيعة الرحلة التي كان مسارها يشمل المناطق الإسلامية، ومن خلال استرجاع الاحداث فقد حدثنا على الرحلة السابقة للحج سنة 1096 فيقول فيهم: "حاصرهم الكفار دمرهم الله تدميرا"[2].

ومنه فالرحلة لم يكن غرضها الحج وفقط أو التجوال، بل قراءة الآخر عبر مرآة الأنا من خلال الغوص في ذات الآخر وكشف مكنوناته وخصوصياته الثقافية، وجاءت دراسة هذا العنصر تبعا لهذه المسلمة لنخلص لنقاط محورية تتمثل في:

- مجال بحث النقد الثقافي هو المضـــمر، وباعتباره منهج نقدي فهو يشـــتغل وفق ثنائيات (الأنا / الآخر).
- تصوير المرأة في أكثر من صورة، فحصرت بين المستحب والمكروه وبين المخالف للشرع والموافق له.
- تمكنت شـــخص من تجســـيد هويته الثقافية، على الرغم من الاختلاف بينه وبين الشعوب الأخرى، فيثبت هويته من خلال تضمينه للرحلة بفكره ومواقفه.
- استحضر الرحالة هوية الآخر المختلفة.

1 الرحلة، ص393.

2 الرحلة، ص 189.

خاتمة

بعد الخوض في رحلة هذه الدراسة الموسومة ب "الأنساق المضمرة في رحلة الحسين الورثلاني"، حيث تم تتبع المضمرات النسقية التي تأخذ صفة التخفي والتستر، فتوصلت لبعض النتائج نجملها في النقاط التالية:

- ❖ تعتبر الرحلة الورثلانية من الرحلات الحجازية المسكوت عنها.
- ❖ رحلة الورثلاني شاهد عيان على واقع البلدان العربية السياسية والاجتماعية والثقافية.
- ❖ اعتناء الرحال بذكر المعالم الأثرية والمناطق التاريخية، وعرج على سرد تاريخ بعض المدن، ووصف المساجد والأزقة والأضرحة، التي تمثل من خصوصية ثقافية لتلك المجتمعات والبيئات.
- ❖ استطاعت شخصية الورثلاني فرض سلطتها على الرحلة من البداية للنهاية، وأحصت كم من الشخصيات بأسمائها الحقيقية والكثير من الأماكن والوقائع والأحداث، مما يضفي عليها طابع المصداقية لدى السامع أو المتلقي، لتصبح وثيقة تاريخية ثقافية.
- ❖ تحفل الرحلة بمجموعة من البنى الثقافية والأنساق المتنوعة، تجعل النص الرحلي المنتج حقل معرفي تسبح فيه الأنساق المضمرة.
- ❖ تتضمن الرحلة أنساق مضمرة تختبئ خلف البعد الجمالي، ذلك أن النقد الثقافي لا يحتفي بالبعد الجمالي إنما بالأنساق التي تختفي وراءه.
- ❖ نلحظ أن النسق الديني بارز في هذا الخطاب الرحلي، فجاء على شكل بدع وممارسات دينية منحرفة كالتبرك بالأولياء الصالحين.
- ❖ يقف الورثلاني موقف المحارب على خصوصية النسق الديني، ليصبح النص الرحلي مسرحا لمقاومة كل ما يخالف الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- ❖ تكشف الرحلة عن النسق السياسي المضمر، المتمثل في خضوع الشعب الضعيف لقوة السلطة المتمردة.

ختاما نرجو أننا قد تمكنا في هذا البحث من تقديم قراءة ثقافية متجددة لهذا النموذج الرحلي الذي يستحق القراءة والتحليل والخوض في غمارها بالاستعانة بمنهج النقد الثقافي والدراسات الثقافية.

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- الحديث النبوي

- **أولا-المصادر**

1-مدونة الحسين بن محمد الورثيلاني، **الرحلة الورثلانية الموسومة "بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مطبعة بييروفونتانا الشرقية، الجزائر، ط1، 1907

ثانيا-المراجع:

القواميس:

1-إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، ج 1، (أ، ض)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ط 4، 2004

2-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج 3، بيروت: دار الفكر، 1977

3-ابن منظور، لسان العرب مادة (ر، ح، ل)، دار المعارف، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج 1609

4-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، مصر، مجلد 1، (د ط)، 2009

5-بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 08، دار المعارف بيروت، لبنان، د ط، 1984

6-الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، ج 4.

7-الفيروز أبادي (محي الدّين يعقوب)، قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د، ط)، ج 2، 1985

الكتب

1-أبو قاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بييروفونتانا الشرقية، ج 2، الجزائر، 1966

2-أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2.

3-أحلام بن الشيخ، الأنساق المضمرة في مختارات من شعر عثمان لوصيف، مقاليد، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، العدد 16، جوان 2016

4-احمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2007

5-أسماء أبو بكر: ابن بطوطة، الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992، الإمام الغزالي (أبو حامد بن محمد)، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج-2، 1986

6-أنساعد سميرة، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009/1430

7-جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري –التشعب والانسجام-، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011

8-جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة: نظرية الأنساق المتعددة، ط 1

9-حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والتجربة النقدية والثقافية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003

10- سمير الخليل وطانية حطاب، دراسات ثقافية (الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي)، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1.

11- سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971

12- شعيب لخليل، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، الكتابة، خطاب المتخيل)، الهيئة العامة لفصور الثقافة، كتابات نقدية، ابريل، 2002

13- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، د ت
14- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، د ط، 2000
15- عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط 1، 2012
16- عبد الفتاح كيليطو: المقامات: السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2001
17- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د، ط)، 1974
18- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، 2004
19- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط 3، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان
20- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ط)، 1995
21- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر التاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، (د، ط)، 1996
22- فينست ب-ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات
23- لبيب الطاهر، صورة الآخر (العربي ناظرا ومنظورا إليه)، مركز دراسات الوحدة العربية،1999
24- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط 2، 1984
25- مجموعة من المؤلفين، الهوية وتحولات العصر، جدل الهويات، حوار المجاورة أو صراع الاختلاف، ابن النديم للنشر والتوزيع-الجزائر-، بيروت، لبنان، دار الروافد الثقافية، ط 1، 2017

26- محمد مفتاح، النص من القراءة الى التنظير، شركة نشر المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000

27- مفتاح محمد، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010

28- ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1994

29- نادر كاظم، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2004 إدوارت سعيد، الثقافة والإمبريالية، (ت-ج) كمال أبو ديب، دار الآداب، لبنان،2014

30- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية/ مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط 1، 1955

31- الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية؟، احمين عبد الكريم،2017

32- يوسف محمد عليمات، النسق الثقافي-قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديث-، عمان، الأردن، 2009

مجلات ومقالات

1-إسماعيل محمد هاشم محمد، الأنساق المضمرة وتجلياتها في النص المسرحي العراقي المعاصر، مجلة ذي قار، ع1/34، جانفي2021

2-عائشة بومهراز، نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي، مجلة الناص، ع9، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، أفريل 2010

3-كريمة محمد كريبة، اللغة والهوية، مجلة الآداب، ع1، جامعة الملك سعود، الرياض،2010

4-نزار جبريل السعودي، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعرف المتعددة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2017

5-الأنصاري، عبد الحميد مقال-العولمة والهويات الثقافية، مجلة الثقافة العالمية
6-سعيد اراق، مقال، مدارات المتفتح والمنغلق في تشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية، مجلة عالم الفكر (مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)
7- الطيب بوعزة المغربي، مقالات فكر إسلامي في الحاجة إلى الإصلاح الديني، 2007/06/20، الساعة 14:50

الرسائل الجامعية

1-الحركات الإسلامية وربطها بالتغير الثقافي في المجتمع الجزائري على أساس اختلاف توجهات السياسة، رسالة دكتوراه، إشراف صالح فيلالي
2-عالية زروقي، صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، أطروحة دكتوراه، تخصص: أدب مقارن، قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف،2017/02/28
3-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1518-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2015-2016
4-عبد اللاوي الناصر، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، رسالة ماجستير في الفلسفة، بيروت، لبنان، دار الغرابي، ط 1، 2012
5-نور رحيم حنيوي، الأنساق الثقافية في شعر اديب كمال الدين، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، د/علي هاشم، جامعة المثنى، 2018
6-مفاتيح نادية، آليات الكتابة في الرحلة الورثلانية مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2017

مراجع أجنبية

Barker, c. (2004) The Sage Dictiomary of cultural studies

الفهرس

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ..... ج
مدخل: الجهاز المفاهيمي	1
أولا: الأنساق الثقافية المضمرة قراءة في المفاهيم	7
النسق الثقافي	9-7
الأنساق المضمرة	10
سمات النسق الثقافي	11
ثانيا: أدب الرحلة دراسة في المفاهيم	11
مفهوم الرحلة	16
مفهوم أدب الرحلة	18
الفصل الأول: النسق المضمر-قراءة في لاوعي النص الرحلي-	
توطئة	22
النسق الثقافي الاجتماعي	23
النسق الديني	27
النسق السياسي	32
خلاصة الفصل	34
الفصل الثاني: تجليات صورة الآخر في الرحلة	
توطئة	37
صورة المرأة	39
صورة الآخر/ رفيق السفر	42
صورة الآخر/ العدو	43

خلاصة الفصل	44
الخاتمة	45
قائمة المصادر والمراجع	46
الملحق رقم 01	55
الملحق رقم 02	56
الملخص	62

الملاحق

تعريف بالمؤلّف:

"الحسين الورثلاني"

ولد الحسين بن محمد السعيد في بني ورثلان، من ثمة نسبته الورثلاني، سنة هـ1125-1713م"[1]، ويعرف ب **الورثلاني** نسبة إلى قبيلته **بني ورثلان**. وقد كان مالكي المذهب[2].

نشأ الورثلاني في كشف أسرة عربية شريفة ذات علم ومعرفة من خلالها تعلم مجمل العلوم التي برزت آن ذاك (فقه، نحو، توحيد...) واستمر في الانتها في العلوم فألم بالأدب والتاريخ والتأليف زيادة على عدله وحكمته، فقد كان له الأثر الكبير في الصلح بين القبائل التي صادفها في رحلته.

---

[1] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص 67

[2] الرحلة، ص 16

وقال فيه الشيخ الحفناوي بأنه: " الإمام العالم العلامة الكامل، الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العالمين... الشيخ النوراني».[1]

حفظ الشيخ الحسين القرآن الكريم في عمر مبكر وكان يتوجه لبجاية وغيرها من المناطق ليتلقى الدروس ويتعلم، و"أصبح من علماء المنطقة المعروفين"[2] وتخرج على يده طلبة نهجوا منهجه وأخذو منه لب العلم والمعرفة.

ومن خلال رحلته نلاحظ أنه كان يعتز بنسبه وشرفه فيذكره في عدة مواضع فيقول: "الشرفاء في بوجليل فإنهم أهل فضل وبركة وعناية، وقد اجتمعنا معهم ف الجد الأعلى الشرف على ما كنا نسمعه من أعالي أسلافنا."[3]

كما أنه حضر مجالس أشهر وأعلم المشايخ واطلع على علمهم، ونذكر من الشيوخ الذين استفاد من دروسهم والذين مر بهم أثناء رحلته: الشيخ الزيات الشافعي الذي حضر مجلسه في طرحه لمسائل النحو[4]، إضافة إلى الشيخ عمر الطحلاوي الذي جمع منه المعقول والمنقول.[5] واشتهر بحجاته الثلاث لبيت الله الحرام لتأدية مناسك الحج والتقرب إلى الله، فكانت حجته الأولى مع والده حين كان عمره ثمانية عشر عام سنة ثلاث وخمسين ومئة ألف 1153هـ[6]، والثانية كانت سنة 1166هـ، والحجة الثالثة فكانت مدتها أطول من التي سبقتها عام 1179هـ إلى 1181هـ.

---

1 أبو قاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بييروفونتانا الشرقية، ج 2، الجزائر، 1966، ص 133

2 أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 394

3 الرحلة، ص57

4 الرحلة، ص 294

5 الرحلة، ص 350

6 الرحلة، ص 157

أعماله:

طغت على أعماله النزعة الصوفية فأسهب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ما يخص دين الإسلام، فترك موروثا ثقافيا وتاريخيا غني بالعلوم والمعارف وتمثلت أشهر أعماله في:

- **كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**
- **رسالة في شرح: وقفت بساحل وقف الأنبياء.**
- **شرح خطبة الكبرى للشيخ السنوسي.**
- **شرح وظيفة سيدي يحى العيدلي.**
- **تشطير البردة للبصيري.**[1]

مكن السفر والترحل الورثلاني من اللقاء مع مختلف الأجناس البشرية بمستوياتهم وثقافاتهم وأبعادهم الاجتماعية من اكتساب معرفة وخبرة بنفسية المجتمعات الأخرى، تجعل التعامل مع الآخر والتفاعل معه ناجحا.

1 مفاتيح نادية، آليات الكتابة في الرحلة الورثلانية مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2017، ص 17

تعريف بالمؤلِّف:

الرحلة الورثلانية الموسومة ب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، هي رحلة عُرفت باسم صاحبها الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، هي من أهم الأعمال بروزا واشتهارا في المغرب العربي عامة والجزائر منبت الكاتب خاصة، وهي من أبرز مؤلفاته شيوعا ذلك لأنها تضم كما هائلا من المعارف والعلوم والأخبار، وعُدت "أنفس تصنيف، وأعرق تأليف، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وفرائد الفوائد."[1]

ويصفها الورثلاني في كتابه قائلاً: "أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار."[2] وتعتبر هذه المدونة موسوعة تصور جزءا كبير من العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر.

تصف الرحلة ما مر به الرحال وهو في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، فيحدثنا عن آدابه والمعالم التي صادفها والأعلام التي قابلها.

وكان مسار الرحلة من نقطة البداية إلى نقطة الوصول كالتالي:

الجزائر ← تونس ← ليبيا ← مصر ← مكة

وقدم الرحالة تقريرا على كل مدينة زارها أو مر بها، ومن المدن التي زارها نذكر بجاية التي كانت نقطة انطلاق الرحلة، ليمر بالزاب ودلس، ثم سيدي خالد والمدية وبونة الواقعة بمدينة عنابة، ثم ذهب لقسنطينة وغيرها من الأماكن التي وطئت عليه قدمه.

مثلت الرحلة دعوة للتسامح والصلح بين الناس، فقد كان حريصا على ألا تعم الفتن والظلم والطعن في حقوق الانسان، ودعا للتقرب إلى الله والتفقه في أمور الدين والأمر بالمعروف

---

1 الرحلة، ص 3

2 الرحلة، ص 12-13

والنهي عن المنكر، ومن خلا ل قوله: " فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين."[1] فيتضح أن الرحال كان مركزا على الدعوة الله تعالى للدين الإسلامي، وأن معظم سفره كان بنية إصلاح ذات البين

1 الرحلة، ص 18

ملخص:

اشتهر العرب بالترحال والسفر والتنقل من مكان لآخر، فعملوا على وضع تجاربهم ورحلاتهم وتدوينها في قالب كتابي، ونقل مغامراتهم والأحداث في شكل مدونات رحلية، تندرج ضمن المحكي الرحلي، هذا الأخير كغيره يعد من الأنواع الأدبية غير بريئة، يُظهر أشياء ويضمر أشياء أخرى، خاصة إذا كان الرحال يستند على مرجعيات وخلفيات ثقافية وسياسية ودينية، تهيكل توجهه ورؤيته أثناء تجربته الرحلية، فلا يمكن للرحال الانسلاخ من ثقافته في رؤيته وتصويره للعالم الذي يجول فيه ويطلع على خصوصياته.

وباعتبار أن الخطاب الرحلي هجين له قابلية التحاور مع المناهج النقدية الحداثية، وانطلاقا من هذه المسلمة عرجنا بحثنا هذا على مساءلة النموذج الرحلي" الرحلة الورثلانية" للشيخ الحسين الورثلاني، بالاعتماد على مقولات واستراتيجيات النقد الثقافي والذي يتكئ على نظرية الأنساق المضمرة، كما أن أصحاب هذا الطرح غالبا ما يشتغلون وفق ثنائيات ضدية من قبيل: الأنا/ الآخر-المركز/الهامش...، هذا ما تضمنته الرحلة الورثلانية في طياتها. وجاءت هذه الدراسة لتتبع تلك الأنساق التي أضمرتها جمالية النص الرحلي واستنباط الثنائيات الضدية التي تغلغلت فيه.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، النسق المضمر.

Summary:

The Arabs were famous for traveling and moving from one place to another. They worked to put their experiences and journeys and write them down in a written form. They convey adventures and events in the form of travel components that fall within the travel narrative. The latter, like others, is considered an innocent literary

genre. It shows things and conceahs other things, especially if It is the traveler relies on cultural, political, and religious references and Backgrounds that structure his orientation and vision during his nomadic experience. He Can not be detached from his culture in his vision of the world in which he lives and learns about its peculiarities. The nomadic discoures is a hybrid that has the potential to engage in dialogue with moderniste critical approches, and based on this axiome, in our research, we set out to question the nomadic model “the Worthland journey” by relying on the categories and strategies of cultural criticisme that relies on the theory of implicit systems, and the proponents of this proposal often work according to dualisms. Contradictions such as : the ego/the other…the center/the margin…, this is what the Worthalian journey included within its folds. This study came to trace and investigate those patterns contained in the aesthetics of the nomadic texte and to deduce the opposite dualities that permeated It.